



جرت سُنّة الله في عباده أن يمتحنهم ويبتليهم ليميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من الكافر أو المنافق، والصادق من الكاذب، وفي ذلك يقول - تعالى - : {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفَتَّنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}.

فالمؤمن الصادق إذا أصابته المحنـة صبر واحتسـبـ، لا ينـهي ولا يـحـيدـ، راضـياً بـقدرـ اللهـ، مـترـفـعاً علىـ الـآـلامـ، مـسـتـسلـماً لـلهـ، تـؤـدـيـهـ المـحـنـةـ وـالـمـصـائـبـ تـهـذـبـهـ وـتـصـهـرـهـ وـتـصـفـلـهـ، فـتـزـيدـهـ إـيمـانـاًـ وـثـبـاتـاًـ، وـعـزـيمـةـ وـمضـاءـ، كـالـذـهـبـ الـذـيـ لـاـ تـزـيدـهـ النـارـ إـلـاـ صـفـاءـ وـنـقـاءـ وـبـهـجـةـ.

أما المنافق أو الكافر، فإذا ما نزلـتـ بهـ نـازـلـةـ فـزـعـ وـاضـطـربـ، وـجـزـعـ وـغـضـبـ، وـانـقـلـبـ عـلـىـ وجـهـ خـسـرـ الدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ، وـذـكـرـهـ هوـ الـخـسـرـانـ الـمـبـيـنـ. فـيـ حـدـيـثـ لأـبـيـ أـمـامـةـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ - : أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - قـالـ : ((إـنـ اللـهـ لـيـجـرـبـ أـحـدـكـمـ بـالـبـلـاءـ، وـهـوـ أـعـلـمـ بـهـ، كـمـ يـجـرـبـ أـحـدـكـمـ ذـهـبـهـ بـالـنـارـ...)) رـوـاهـ الحـاـكـمـ وـصـحـحـهـ وـوـافـقـهـ الـذـهـبـيـ.

فـلـاـ بـدـ مـنـ تـرـبـيـةـ نـفـوسـ الـمـؤـمـنـينـ بـالـابـلـاءـ، بـالـمـخـاـوفـ وـالـشـدـائـدـ، بـالـجـوـعـ وـالـعـطـشـ، بـنـقـصـ الـأـمـوـالـ وـالـأـنـفـسـ وـالـثـمـرـاتـ، لـتـكـونـ كـفـارـةـ لـذـنـوبـهـمـ، مـاـحـيـةـ لـخـطـايـاهـ وـأـثـامـهـ، فـمـنـ مـسـهـ الضـرـرـ فـيـ فـتـنـةـ مـنـ الـفـتـنـ، أـوـ فـيـ اـبـلـاءـ مـنـ الـابـلـاءـاتـ، فـصـبـرـ وـلـمـ يـجـزـعـ، وـتـشـجـعـ فـلـمـ يـسـخـطـ، كـانـ صـبـرـهـ رـحـمـةـ لـهـ وـبـشـرـىـ مـنـ اللـهـ - تـعـالـىـ - : {وَلَئـلـئـلـئـكـمـ بـشـيـءـ مـنـ الـخـوـفـ وـالـجـوـعـ وـنـقـصـ مـنـ الـأـمـوـالـ وـالـأـنـفـسـ وـالـثـمـرـاتـ وـبـشـرـ الصـابـرـينـ}. وـقـدـ وـرـدـ فـيـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ عـنـ أـبـيـ سـعـيدـ وـأـبـيـ هـرـيـرـةـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـماـ - عـنـ النـبـيـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - : ((مـاـ يـصـبـبـ الـمـؤـمـنـ مـنـ نـصـبـ وـلـاـ وـصـبـ وـلـاـ حـزـنـ وـلـاـ غـمـ حـتـىـ الشـوـكـهـ يـُـشـاكـهاـ، إـلـاـ كـفـرـ اللـهـ بـهـ مـنـ خـطـايـاهـ)). وـمـنـ رـحـمـةـ اللـهـ يـعـبـادـهـ أـنـ يـعـجـلـ لـهـ الـعـقـوبـةـ عـلـىـ الـمـعـاصـيـ فـيـ الدـنـيـاـ حـتـىـ تـزـكـوـ نـفـوسـهـمـ وـتـعـوـدـ إـلـىـ اللـهـ، فـقـدـ جـاءـ عـنـ النـبـيـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - : ((إـذـ أـرـادـ اللـهـ بـعـدـ الـخـيـرـ عـجـلـ لـهـ الـعـقـوبـةـ فـيـ الدـنـيـاـ، وـإـذـ أـرـادـ اللـهـ بـعـدـ الشـرـ أـمـسـكـ عـنـ بـذـنـبـهـ حـتـىـ يـوـافـيـ بـهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ)) رـوـاهـ التـرـمـذـيـ وـقـالـ : " حـسـنـ صـحـيـحـ".

وـقـدـ يـبـتـلـيـ اللـهـ الـمـسـلـمـ (أـوـ الـمـسـلـمـةـ) لـاـ عـنـ ذـنـبـ اـقـتـرـفـهـ، وـلـاـ عـنـ مـعـصـيـةـ اـرـتكـبـهـ، وـلـكـنـ لـيـرـتـقـيـ بـهـ وـلـيـرـفـعـ مـنـ درـجـاتـهـ وـيـزـيدـ مـنـ حـسـنـاتـهـ، بلـ إـنـ الـابـلـاءـ لـهـ دـلـالـةـ عـلـىـ مـحـبـةـ اللـهـ - تـعـالـىـ - لـعـبـدـهـ الـمـؤـمـنـ، فـقـدـ روـيـ التـرـمـذـيـ وـابـنـ مـاجـهـ مـنـ حـدـيـثـ أـنـسـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ - : أـنـ النـبـيـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - قـالـ : ((إـنـ عـظـمـ الـجـزـاءـ مـعـ عـظـمـ الـبـلـاءـ، وـإـنـ اللـهـ - تـعـالـىـ - إـذـ أـحـبـ قـوـمـاـ اـبـلـاهـمـ، فـمـنـ رـضـيـ فـلـهـ الرـضاـ، وـمـنـ سـخـطـ فـلـهـ السـخـطـ)). حـتـىـ إـنـ أـهـلـ الـبـلـاءـ يـغـبـطـونـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ لـعـظـيمـ ثـوابـهـمـ، يـقـولـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - : ((يـوـدـ أـهـلـ الـعـافـيـةـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ حـينـ يـعـطـيـ أـهـلـ الـبـلـاءـ الـثـوابـ لـوـ أـنـ جـلوـدـهـمـ قـرـضـتـ فـيـ الدـنـيـاـ فـيـ

المقاريبي) رواه الترمذى.

وهكذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن قبله من الأنبياء أشد الناس بلاءً، غير أنه اجتمع لنبينا - صلى الله عليه وسلم - ما حصل لكل الأنبياء؛ ابْنُتُلِي في أهله وماله وولده، أُصِيب بالجوع والعطش، والنَّصَاب والتعب، توالى عليه المصائب فلم تزد إِلَّا إيماناً وثباتاً واعتصاماً بالله، صبَّتْ قريش جام غضبها عليه - فداء آباءنا وأمهاتنا - فما كان منه إِلَّا أن قال: ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)) رواه البخاري.

وبذلك تعلم الصحابة من نبيِّهم أن عظَمَ الجزاء لا يكون إِلَّا تحت مطارق الشدائِد؛ فعندما اشتكتي خباب ابن الأرت - رضي الله عنه - إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما يلقاه والمسلمون من التعذيب والظلم والاضطهاد، ما كان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إِلَّا أن قال له تسليةً وثباتاً: ((قد كان مَنْ قبلكم يؤخذ الرجل فُيُحَفَر له في الأرض فَيُجْعَل فيها، فَيُجَاء بالمنشار، فَيُوَضَع على رأسه فَيُجْعَل نصفين، وَيُمْشَط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظميه، ما يصدِّه ذلك عن دينه))!! رواه البخاري في صحيحه.

ويمضي المسلمون إلى ميادين البطولة والجهاد، وساحات القتال والاستشهاد، يجودون بدمائهم لنُصرة دينهم ولسان حالهم يقول: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِرَضَى}.

فيما من عصفت بكم المصائب والكُربَات، أُسْوَتُكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، لا تسخطوا ولا تجزعوا، بل تفاءلوا وأبشروا... وتقربوا إلى الله بقلبٍ صادقٍ خاشع، واعلموا أن مع العسر يُسراً.

وأنت يا أخي المسلم، إذا حلَّت بك الهموم، واشتدت الكروب، وعَظُمت الخطوب، وضاقت عليك الدروب، فاقرعي بابَ الحَيِّ القيَوْم، بابَ مَنْ لا يَرُد سائله ولا يخِيِّبه... اذْرِفِي الدَّمْوع وقولي: لا إِلَهَ إِلَّا أنت سُبْحَانَك إِنِّي كُنْتُ من الظَّالِمِين، يا ساماً لِكُلِّ شَكْوَى، ويَا عالَمًا بِكُلِّ نَجْوَى، يا سَابِع النِّعَمَ، ويَا دَافِعَ التِّقْمَ، اكْشِفْ كُرْبَتِي، وارْحِمْ عَبْرَتِي، وَأَقِلْ عَثْرَتِي، وَفَرِّجْ هَمِّي وَغَمِّي.

ويَا أَيُّهَا الثَّابِتُونَ عَلَى الْحَقِّ، الصَّابِرُونَ عَلَى الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ، أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ فِي وَجْهِ الْبَاطِلِ، يَا مَنْ تُهَدَّدُونَ وَتُعَذَّبُونَ وَتُقْصَفُونَ، رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أُسْوَتُكم، فسيروا في طريقكم، وإنَّ الله لن يُضِيعَ جهادكم، فهو ناصر المؤمنين، وقاهر الطغاة والظالمين، ومُذَلُّ المنافقين والمخاوزلين والمثابين، وعندها سيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنَقَّابٍ ينقلبون.

المصدر: رابطة العلماء السوريين

المصادر: